

مختصر ابن كثير

(تابع . . . 1) : 36 - قال قد أُوتِيت سُؤْلَك يَا مُوسَى .

فاما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ما قص الله عليك في القرآن فشكا إلى الله تعالى ما يحذر من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسائل ربه أن يعينه أخيه هارون يكون له ردءاً يتكلم عنه بكثير مما لا ي Finch به لسانه فآتاه الله سؤله وحل عقدة من لسانه وأوحى الله إلى هارون وأمره أن يلقاءه فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هارون عليه السلام فانطلقا جمياً إلى فرعون فأقاما على بايه حيناً لا يؤذن لهم ثم أذن لهم بعد حجاب شديد فقال : { إنا رسول ربک } قال : فمن ربکما ؟ فأخبراه بالذي قص الله عليك في القرآن قال : وما تريدان ؟ وذكره القتيل فاعتذر بما قد سمعت قال : أريد أن تؤمن بما وترسل علينا بنى إسرائيل . فأبى عليه فقال : ائت بايه إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي حية تسعى عظيمة فاغرها فاها مسرعة إلى فرعون فلما رأها فرعون قاصده إليه خافها فاقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفلها عنه ففعل ثم أخرج يده من جيبه فرأها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص ثم ردتها فعادت إلى لونها الأول فاستشار الملا حوله فيما رأى فقالوا له : هذان ساحر يريdan أن يخرجكم من أرضكم بسحرهما ويدهبا بطريقتكم المثلث يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئاً مما طلب وقالوا له : اجمع لها السحرة فإنهم بأرضك كثير حتى تغلب بسحرك سحرهما فأرسل إلى المدائن فحشر له كل ساحر متعلم فلما أتوا فرعون قالوا : بم يعمل هذا الساحر ؟ قالوا : يعمل بالحيات قالوا : فلا والله ما أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصي الذي نعمل بما أجرنا إن نحن غلبياه ؟ قال لهم : أنتم أقارب وخاصتي وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحي .

قال سعيد بن جبير : فحدثني ابن عباس : أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحر هو يوم عاشوراء . فلما اجتمعوا في صعيد واحد قال الناس بعضهم لبعض : انطلقوا فلنحضر لهذا الأمر { لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغاليين } يعنون موسى وهارون استهزاء بهما { فقالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن تكون نحن الملقيين ... قال بل ألقوا فألقوا حبالمهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إننا لنحن الغاليون } فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله إليه أن ألق عصاك فلما ألقها صارت ثعباناً عظيماً فاغراها فاه فجعلت العصي تلتبس بالحبال حتى صارت جرزاً إلى الثعبان تدخل فيه حتى ما أبقيت عصا ولا حبل إلا ابتعلته فلما عرف السحرة ذلك قالوا : لو كان هذا سحراً لم يبلغ من سحرنا

كل هذا ولكن هذا أمر من آمنا يا وبما جاء به موسى من عند الله ونتوب إلى الله مما
كنا عليه فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعلمون {
فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين } وامرأة فرعون بارزة متبدلة تدعوه بالنصر لموسى على
فرعون وأشياعه فمن رآها من آل فرعون طن أنها ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه وإنما
كان حزنهما وهمها لموسى .

فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء بأبيه وعده عندها أن يرسل معهبني
إسرائيل فإذا مضت أخلف موعده وقال : هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا ؟ فأرسل الله على
قومه : الطوفان والجراد والقمل والمفاجع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكون إلى موسى ويطلب
إليه أن يكفها عنه ويواجهه على أن يرسل معهبني إسرائيل فإذا كف ذلك عنه أخلف موعده
ونكث عهده حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلاً فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد
مضوا أرسل في المدائن حاشرين فتبعه بجنود عظيمة كثيرة وأوحى الله إلى البحر إذا ضربك
عبدي موسى بعصاه فانفلق اثنين عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه ثم التقى على من بقي
بعد من فرعون وأشياعه فتنسى موسى أن يضرب البحر بالعصا وانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة
أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا الله . فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال أصحاب
موسى : إننا لمدركون أفعل ما أمرك به ربك فإنه لم يكذب ولم تكذب . قال وعدني ربى إذا
أتيت البحر انفلق اثنين عشرة فرقة حتى أجوازه ثم ذكر بعد ذلك العصا فضرب البحر بعصاه
حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى
فلما أجاز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم البحر كما أمر
فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه : إننا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه فدعا
ربه فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه .

ثم مرروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم { قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم
آلها قال إنكم قوم تجهلون ... إن هؤلاء متبر ما هم فيه } الآية : قد رأيتم من العبر
وسمعتم ما يكفيكم .

ومضى فأنزلهم موسى منزلة وقال : أطيعوا هارون فإني قد استخلفته عليكم فإني ذاهب إلى
ربى وأجلهم ثلاثة أيام يرجعوا إليهم فيها فلما أتى ربى وأراد أن يكلمه ثلاثة أيام وقد
صا مهن ليلهم ونهارهم وكره أن يكلم ربى وريح فيه ريح الصائم فتناول موسى من نبات
الأرض شيئاً فمضغه فقال له ربى حين أتاه : لم أفترط ؟ وهو أعلم بالذى كان قال : يا رب
إنى كرهت أن أكلمك إلا وفي طيب الريح قال : أوما علمت يا موسى أن ريح الصائم أطيب
عندى من ريح المسك ارجع فصم عشرة . ثم أئتني . ففعل موسى عليه السلام ما أمر به فلما
رأى قومه أنه لم يرجع إليهم في الأجل سائهم ذلك وكان هارون قد خطبهم وقال : إنكم قد

خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عوار وودائع لكم فيهم مثل ذلك فإني أرى أنكم تتحسبون ما لكم عندهم ولا أحلا لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولسنا برادين إليهم شيئاً من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا حضر حفيرا وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلي أن يقذفوه في ذلك الحفير ثم أوقد عليه النار فأحرقه فقال : لا يكون لنا ولا لهم . وكان السامي من قوم يعبدون البقر جيران لبني إسرائيل ولم يكن من بني إسرائيل فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا . فقضى له أن رأى أثراً فقبض منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون عليه السلام : يا سامي إلا تلقي ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طول ذلك فقال : هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر لا ألقىها لشيء إلا أن تدعوا الله إذا ألقيتها أن يجعلها ما أريد فالقاها ودعا له هارون فقال : أريد أن يكون عجلًا فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلًا أجوف ليس فيه روح ولم يخوار قال ابن عباس : لا والله ما كان له صوت قط إنما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه وكان ذلك الصوت من ذلك فتفرق بنو إسرائيل فرقة : يا سامي ما هذا وأنت أعلم به ؟ قال هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق فقالت فرقة : لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينا وإن لم يكن ربنا فإننا نتبع قول موسى وقالت فرقة : هذا من عمل الشيطان وليس بربنا ولا نؤمن ولا نصدق و Ashton فرق في قلوبهم المصدق بما قال السامي في العجل وأعلنوا التكذيب به فقال لهم هارون : { يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري } قالوا : مما بال موسى وعدنا ثلاثة يوماً ثم أخلفنا هذه أربعون يوماً قد مضت وقال سفهاؤهم : أخطأ ربكم فهو يتطلبه يتبعه .

فلما كلم الله موسى وقال له ما قال أخبره بما لقي قومه من بعده { فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا } فقال لهم : ما سمعتم في القرآن وأخذ برأس أخيه يجره إليه وألقى الألواح من الغضب ثم إنه عذر أخاه بعذرها واستغفر له وانصرف إلى السامي فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت لها وعميت عليكم { فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقه ثم لتنسفنه في اليم نسفاً } . ولو كان إليها لم يخلص إلى ذلك منه فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون فقالوا لجماعتهم : يا موسى سل لنا بك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فيكرر عنا ما عملنا فاختار موسى قومه سبعين رجلاً لذلك لا يألو الخير خيار بني إسرائيل ومن لم يشرك في العجل فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض فاستحيا النبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل فقال : { رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيابي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا } ؟ وفيهم من كان الله أطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمانه به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال

: { ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقدون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل } فقال : يا رب سألك التوبة لقومي فقلت إن رحمتي كتبتها لقوم غير قومي هلا أخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة ؟ فقال له : إن توبيتهم أن يقتل كل رجل منهم من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف ولا يبالي في ذلك الموطن وتاب أولئك الذين كان خفي أمرهم على موسى وهارون واطلع الله من ذنبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول . ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب فأمرهم بالذى أمرهم به أن يبلغهم من الوظائف . فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقرروا بها فنتق الله عليهم الجبل كأنه طلة ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بما ينتمون وهم مصغون ينظرون إلى الجبل والكتاب بأيديهم وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون خلقهم خلق منكر وذكروا من ثمارهم أمراً عجيبة من عظمها فقالوا : يا موسى إن فيها قوماً جبارين لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها ما داموا فيها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون قال رجال من الذين يخافون : قيل ليزيد هكذا قرأت ؟ قال : نعم من الجبارين آمنا بموسى وخرجوا إليه قالوا : نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما .

تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعدهم فإذا نهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون . ويقول أنس : إنهم من قوم موسى فقال الذين يخافونبني إسرائيل : { قالوا يا موسى إننا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون } فأغضبوا موسى فدعا عليهم وسماهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله وسماهم كما سماهم موسى فاسقين وحرمتهم عليهم أربعين سنة يتيمون في الأرض يصبحون كل يوم فيسرون ليس لهم قرار وظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتفسخ وجعل بين ظهاراً نيتهم حبراً مربعاً وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً في كل ناحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من مكان إلا وجدوا ذلك الحجر بينهم بالمكان الذي كان فيه بالأمس (أخرجه النسائي في سننه وابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما قال ابن كثير : وهو موقف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه وكأنه تلقاء ابن عباس مما أ Bij نقله من الإسرائيليات)